موقف الخلفاء العباسيين من النيروز واسباب إهتمامهم بالأعياد الأيرانية

بتول صادق

شارك الخلفاء العباسيون في إحياء شعائر النوروز، وادخلوا سننه إلى قصورهم، واعتبروه عيداً رسمياً يحتفل به كل عا م واغتنم الشعراء والخطباء والندماء حلول عيد النوروز ليشاركوا خلفاهم في إقامة شعائره. من سنن التي ظهرت في العصر العباسي هي: إشعال النار وصب الماء وتقديم الهداياء وإقامة مجالس الطرب.

إشعال النار وصب الماء

بدأ الناس يوقدون النيران ليلة العيد ويصبون الماء في صبيحة كما كان متبعاً عند الإيرانيين. ولم يبحث الناس عن سبب صب الماء أو إشعال النار، بل كانوا يحبون شعائر للتسلية وقضاء الوقت . فلقد منع الخليفة المعتضد في سنة ٢٨٢ هـ إضرام النيران ليلة النوروز وصب الماء في صبيحته، ولكنه تراجع عن قراره، ولم نعرف سبباً لذلك وسمح للناس بوقود النيران وصب الماء. وهذا التراجع المفاجيء، شجع الناس أن يخرجوا على المألوف ويصبوا الماء على اصحاب الشرطة أنفسهم.

قال الطبري في حوادث سنة ٢٨٢ هـ بشأن ايقاد النار وصب الماء."في يوم الاربعاء لثلاث خلون من جمادي الاول، ولاحدي عشر ليلة خلت من حزيران، نودي في الارباع والاسواق ببغداد بالنهي عن وقود النيران ليلة النيروز، وعن صب الماء في يومه ونودي بمثل، ذلك في يوم الخميس .فلما كانت عشية يوم الجمعة نودي على باب سعيد بن يكسين صاحب الشرطة بالجانب الشرقي من مدينة الاسلام، بأن أمير المومنين قد اطلق للناس في وقود النيران، وصب الماء ففعلت العامة من ذلك ما جاوز الحد، حتي صبّوا الماء على أصحاب الشرطة

عاد النوروز إلى الحياة في العصر العباسي ببهجة وتجدد، كما جدد معه تقاليده وسننه التي كانت متبعة عند الاكاسرة. والفضل في إحياء شعائر النوروز يعود إلى الخلفاء والوزراء والناس، الذين احتفلوا به واهتموا به وجعلوه، رمزاً للتحالف وشدّ وثاق الاخوة بين الأمتين العربية والفارسية.

في مجلس الجسر.

إغتنم الشعراء فرصة ايقاد النار وصبّ الماء ليعبروا عن أمانيهم واشواقهم الصادرة من أعماق قلوبهم بصدق وصراحة وباسلوب بسيط وجميل . وصف كشاجم نفسه في هذا اليوم السعيد، والسنة فيه أن يوقد النار ويصب الماء ولكنه وحيد بعيد عن أحبائه وقلبه من الحب كلهيب من النار شوقاً إليهم ، وتفيض الدموع من عينيه لعلها تطفيء نار قلبه، فأنشد:

لما رأيت النوروز سنته — صبّ مياه وشب نيران
نوروزت وحدي والشوق يقلقني — بنار قلبي وماء اجفان

الهدايا

إن من السنن الفارسية القديمة هي تقديم الهدايا يوم النوروز من جميع طبقات الناس إلى الملك وكذلك العكس، وعادت تلك السنة القديمة إلى الظهور في العصر العباسي، وبدأ الأمراء والشعراء والخطباء يهدون الهدايا الثمينة إلى الخلفاء وكان الخلفاء يقابلونهم بهدايا أكثر كانت ذات تأثير أكبر في نفوسهم كما قال الشاعر في وصف الهدية

إن الهدَّية حلوةٌ — كالسِّحرتَجتَلِبُ قلوباً
توني البغيض من الهوى — حتّى تصّيره قريباً
وتُعيدُ مضطَغِنّ العدا — وَة بعد نقرته جسياً

والنوروز، هو يوم المحبة، ولقاء الأحبة، وهو اليوم الذي تتألف فيه القلوب، وتسود المحبة بين الناس، فيتبادلون أجمل واعلى الهدايا التي تزيد العيد بهجة وحبوراً. إهدى أحمد بن يوسف الكاتب إلى المأمون سفطاً من الذهب، فيه عود هندي في طوله وعرضه و كتب معها هذا يوم جرت فيه العادة بألطاف العيد والسعادة فقال :

على العبد حقٌّ فهوَ لابدَّ فاعله ***وإن عظمَ المولى وجلَت فضائلُهُ
الم تَرنا نُهدي إلى الله ماله *** وَإن كان عَنهُ ذا غني فهوَ قابلُهُ

ولم ينحصر تقديم الهدايا بين الخلفاء والوزراء والشعراء فقط، وإنما كانت هذا السنة بين الناس ايضاً وتسابقوا إلى الاحتفال به، واحيوا فيه ما كان معروفاً عند الفرس القدماء من عادات كعادة ايقاد النيران وعادة التهادي

مجالس الفرح

من السنن الفارسية القديمة التي ظهرت في العصر العباسي، إقامة مجالس الفرح. وكان الخلفاء والشعراء والناس يفرحون بحلول عيد النوروز، لما يواكبه من روعة جمال الطبيعة ولما يرافقه من فرح وحبور وسرور، في إقامة مجالس الفرح وسماع الأصوات الجميلة والألحان العذبة التي كان يقدمها الماجنون.

وهكذا عاد النوروز إلى الحياة في العصر العباسي ببهجة وتجدد، كما جدد معه تقاليده وسننه التي كانت متبعة عند الاكاسرة. والفضل في إحياء شعائر النوروز يعود إلى الخلفاء والوزراء والناس، الذين احتفلوا به واهتموا به وجعلوه، رمزاً للتحالف وشدّ وثاق الاخوة بين الأمتين العربية والفارسية.

اما العوامل والسباب التي أدت الى إهتمام العباسيين بالأعياد الأيرانية فهي كما يلي:

العوامل الدينية

لقد جذب الدين الاسلامي الكثير من آداب ورسوم الحضارات الأخرى التي تعامل معها كالحضارتين الفارسية والرومية.ولهذا الامر سببان: يتمثل الاول بماهية الدين الإسلامي الذي تعامل مع الأديان الأخرى وتقبل العديد من آدابهم ورسومهم ومنحها طابعاً دينياً ووافق عليها. أما السبب الثاني فهو عدم خوض الاسلام لتجربة حكومية من قبل لأنه ظهر في مكان لم يكن قد خاض أية تجربة حكومية من قبل وكان لابد له حفاظاً على بقائه أن يقتبس من التجربة الحكومية للحضارات الأخرى. ولقد سعى العرب منذ البداية إلى جذب آثار الحضارة الفارسية نتيجة لتجربتها المشرقة وبناءاً على خط سير الإسلام، واحترموا بعض الرسوم والتقاليد الخاصة بها سواء أكانت ذات منشأ ديني أو غير ديني وتقبلوها. كما كان بعض الموظفين وخاصة في العهد العباسي يبعثون برسائل إلى الخلفاء تحتوي في طياتها على التهاني بمناسبة حلول الأعياد كالنوروز ومهرجان بالإضافة إلى الدعاء والابتهال من أجلهم. وبهدف حفظ سننهم وثقافتهم قام الفرس بمنح أعيادهم طابعاً إسلامياً بنظرتهم المستقبلية ، ونسبوا الحقائق التي حظيت بالاهتمام في الديانة الإسلامية إلى النوروز وهكذا كان عيد النوروز من الأعياد الكبرى ومحط إهتمام المسلمين في عهد العباسي.

العوامل الاقتصادية

من العوامل الأخرى التي أدت الإهتمام بالأعياد الأيرانية في العهد الاسلامي، يمكن أن نشير إلى مجالاتها الإقتصادية والتي كانت تجري على صورتين: إفتتاح الخراج والهدايا.

إفتتاح الخراج

لقد واجه العرب في بلاد فارس تقسيمات زراعية معقدة وتنوعاً ديوانياً وخراجاً، حيث لقد كانت الإطاحة بهذا الامر نوعاً ما، ولذلك فقد تم فرض الضرائب في البلدان التي تم فتحها بناءاً على الموازين التي كانت سائدي في تلك البلدان. وإضافة إلى أن العرب اقتبسوا نظام الضرائب عن الفرس عند فتحهم لتلك البلاد، فقد جعلوا موعدها كذلك مطابقاً لما كان معمولاً به في بلاد فارس. ولقد كان يبدأ تحصيل الخراج عندما كانت أشعة الشمس تغدو عمودية على

مدار السرطان ويبدأ الانقلاب الصيفي حيث كان الفلاحون يجنون قسماً من محاصيلهم ويغدو الوقت مناسباً لإفتتاح الخراج. وبما أن افتتاح الخراج كان فيعيد النوروز حيث كانت تصلهم هدايا ثمينة، فقد اهتموا بحفظ تلك السنن والتقاليد وتعيين عيد النوروز وتثبيته وبالتالي فقد قام الخلفاء العباسيون ببعض الاصلاحات.

الهدايا

يعد تقديم الهدايا إلى الحكام من التقاليد القديمة والثابتة عند الايرانيين في عيد النوروز والمهرجان حيث كان هذا التقليد متداولاً في العصر الإسلامي. واضافة إلى إهتمام الخلفاء العباسيين بالسنن والتقاليد الايرانية، فقد اقتبسوا عن التجربة الحكومية للسا سانيين. ولذلك فقد أولوا الإهتمام للأعياد الفارسية على نطاق واسع حيث كان الرعايا والموظفون يقدمون الهدايا للخلفاء كما كانت الهدايا ترس للملوك الساسانيين فيعيد النوروز والمهرجان.

العوامل الاجتماعية

من العوامل الأخرى التي أدت إلى الاهتمام بالأعياد الفارسية يمكن ذكر العوامل الاجتماعية. وبما أن نصف البلاد التي كانت تخضع لسيطرة العباسيين، كانت تشمل بلاد فارس، فلم يتخلى الفرس عن الكثير من عاداتهم وتقاليدهم، وبعد اعتناقهم للإسلام حافظوا عليها. ورغم أن العرب استطاعوا دخول ايران سريعاً إلا أنهم لم يتمكنوامن استبدال الدين الزرادشتي والذي كان رائجاً في الكثير من المناطق الايرانية بالاسلام وحتى أثناء الخلافة العباسية، وبقيت النظم والتقاليد الخاصة به قيد الإجراء. وعلى كل حال، فقد انتشر الاسلام بشكل تدريجي في بلاد فارس، وكلما كان الفرس يطلعون بشكل أوسع على تعاليمه، كان تقدمه يجرى بشكل أسرع وأسرع. ويبدوا أنه خلال الحكم الاموي، لم يكن بعض موسسي الخلافة الاموية يعارضون اعتناق أهل الذمة للإسلام حتى أنهم كانوا يمنحون بعض المحسوسات على الجزية لمن كانوا يرغبون بالبقاء على دينهم ودفع الجزية. كما تعد بيوت النار التي ظلت النار تشتعل فيها حتى القرن الرابع دليلاً واضحاً على فعاليات الزرادشتيين في ايران كما كانت تعتبر أحد العناصر الاجتماعية المهمة للخلافة الإسلامية. كما يبدوا أنه أثناء خلافة بعض الخلفاء العباسيين ونتيجة لتسامحهم مقابل بعض الاديان ومنه الدين الزرادشتي، فقد انتشر فعاليات مختلفة لأتباع تلك الأديان. لقد كانت الأوضاع الاجتماعية في القرون الثلاثة الأولى تشير إلى النشاطات الملفتة للنظر بين الزرادشتيين في تطبيق الرسوم والتقاليد كما كان تبين تغلب الثقافة الفارسية على العربية حيث لم يستطيع حتى تعصب حكام بني أمية أن يستبدل بالثقافة الايرانية.

ومنذ بداية فتح ايران هاجر الكثير من العرب إليها نتيجة لحوافز إقتصادية وإجتماعية وسياسية ودينية حيث كان الولاة يشجعون على تلك الهجرة ويدعمونها. وقد اعتنق العرب الذين هاجروا إلى الكثير من المناطق الايرانية بما فيها خراسان الثقافة الفارسية التي كانت سائدة أنذاك وتزوجوا من النساء الفارسيات وارتدوا الملابس الفارسية وكانوا يحتفلون كالفرس بأعياد النوروز والمهرجان والسده حتى أنهم كانوا يتكلمون باللغة الفارسية.

بما أن الخلفاء العباسيين كانوا أنفسهم مدينين للإيرانيين بما فيهم الخراسانيين في حكومتهم،خلافاً للامويين الذين كانوا ذوي تعصب للعرق العربي واللغة العربية؛ فقد حاولوا منذ البداية استغلال دعم الإيرانيين لهم في شوون الحكومة. ورغبة منهم في الحافظ على حكومتهم وسلطتهم وفي الاستفادة من حماية الإيرانيين لهم، وبالنظر إلى أغلبية الإيرانيين الذين كانوا يشكلون نصف عدد السكان في الحكومة الاسلامية، فقد اضطروا إلى تداول السنن الفارسية بشكل عام والأعياد الفارسية بشكل خاص. ومن المراسم التي كانت متداولة في عيد النوروز إشعال النار ورشق الناس لبعضهم البعض بالماء وإضاءة المنازل. وكانت تلك المراسم تصل المراسم إلى الافراط في بعض الاحيان وتودي إلى الفوضى والهرج والمرج في المجتمع حيث كان الخلفاء والحكومة يمنعونها، ورغم ذلك فقد ظلت الثقافة الفارسية هي الغالبة وظلت تلك التقاليد جزءاً لا يتجزأ من تلك

الثقافة ولم يقدر الخلفاء على منعها، كما حدث عام(٢٨٤ هـ) حيث منعوا في البداية تلك الرسوم والتقاليد ولكنهم عادوا وسمحوا بها نتيجة لتفوق العنصر الفارسي.

العوامل السياسية

لقد كان النظام القبلي والعشائري هو السائد في شبه الجزيرة العربية بدليل الظروف الاقليمية والجغرافية الخاصة. وبعد تشكيل الحكومة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية فقد دعا الامر إلى تشكيل منظمات سياسية، إقتصادية، إجتماعية نشأت إما عن الدين الإسلامي أو الحضارة الفارسية أو الرومية. لقد اكتسب العرب حضارتهم من الإسلام الذي شكل عاملاً لوحدة القبائل العربية وانسجامها. وبعد تشكيل حكومة بني أمية وبدليل عدم شرعية زعمائها فقد اضطروا إلى إحياء النظام القبلي الذي كان سائداً قبل الإسلام للحفاظ على سلطتهم، مما أدى إلى طرح مسائل مثل التفوق العرقي وعدم رضا القبائل العربية. لم يكن اللإيرانيين راضين عن النظام العشائري لبني أمية وسياسة التفوق العرقي والتعصب العرقي التي كانوا يتبعونها ولذلك فقد كانوا يشاركون في أي نهضة تقوم ضدهم. أما العباسيون الذين كانوا واعين لمخالفة الفرس لبني أمية ، فقد جعلوا مركز نشاطهم منذ البداية في خراسان، حتى أن الخلفاء العباسيين كانوا يرسلون ولي عهدهم إلى داخل ايران ليتواصل بشكل أوسع مع الناس وذلك في محاولة منهم لإرضاء الفرس والحصول على شرعية لحكومتهم.

ومن العوامل التي أدت إلى نفوذ الفكر الفارسي وانتشار ورواج الأعياد الفارسية وجود الفرس في مناصب في الحكومة العباسية كانت عبارة عن: الوزراء، المسؤولون، القادة العسكريون، السياسيون، الأمراء وغيرهم. كما أن نفوذ الساسانيين في الوزارات العباسية كان وسيلة لترويج تقاليد الفرس وتقوية نفوذهم. ويبدو أن الخلفاء العباسيين حتى هارون الرشيد كانوا يهتمون بشكل ظاهري ببعض الأعياد الإيرانية لكسب رضا الفرس حيث تحولت تلك الأعياد إلى سنن في الحكومة العباسية بدءً من عهد هارون الرشيد الذي ترافق مع منح البرامكة مناصب في الوزارة.

وبعد تمكن العباسيين من التغلب على أعدائهم وبلوغهم مرحلة الاستقرار أرادوا الحصول على نتائج سلطتهم فعمدوا إلى التجمل حيث كانت الأعياد الفارسية تلبي رغباتهم، وكان ذلك أيضاً عاملاً لرواج تلك الأعياد خلال الحكومة العباسية. ومن الجوانب السياسية الأخرى يمكننا أن نذكر زواج الخلفاء العرب من بنات أشراف الفرس والذي لعب دوراً مهماً في إحياء الثقافة الفارسية ورسومها وآدابها. كما أن أم المأمون كانت فارسية وتزوج هو ذاته بابنة حسن بن سهل والذي أدى نفوذه على الخليفة إلى تمايل الخليفة إلى الآداب والرسوم الفارسية.